الفلسفة وإصلاح درسها من خلال التطبيق

د. عبدالرحمن علي الزرقاني*

كلية الآداب - جامعة المرقب - الخمس

*abdelrahman.alzarqani@elmergib.edu.ly

تاريخ الاستلام 2025.04.06 تاريخ النشر 2025.06.17

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور الفلسفة التطبيقية في إصلاح الدرس الفلسفي القديم، مع التركيز على تجلياتها عبر تاريخ الفكر الفلسفي، والإشارة إلى بعض نماذج التطبيق في عدد من المجالات العلمية، كالعلوم التقنية، والطبية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها، وقد تم استخدام المنهج التحليلي، القائم على النقد والتقويم، من أجل استكشاف مدى تأثير الفلسفة التطبيقية في إعادة تشكيل المفاهيم الفلسفية التقليدية، وجعلها أكثر ارتباطًا بالواقع المعاصر. وتوصل الباحث إلى أن التطبيق لم يكن ليحقق مستواه العملي العلمي الدقيق؛ إلاّ بحضور التفكير الناقد، الذي لا يستثني أي تطبيق في واقعنا إلاّ ويخضعه لمنهجية صارمة من النقد والتقويم ليجعله أكثر دقة وكفاءة. كما أظهرت الدراسة أن الفلسفة التطبيقية تسهم في تعزيز الإبداع وحل المشكلات التي لازمت التطور العلمي، مما يجعلها أداة أساسية في تطوير البحث العلمي والتعليم.

ومن هنا، فإن تفعيل الفلسفة التطبيقية يسهم في تحقيق تكامل معرفي بين الفلسفة والعلوم المختلفة، مما يعزز من فاعليتها وجدواها في الحياة العملية.

الكلمات المفتاحية: التطبيق، التفكير الناقد، نماذج التطبيق، المجالات العلمية، المنهجية الصارمة.

Philosophy and its reform through application

Abdelrahman A. Alzarqani*

Faculty of Al-Khums, University of Elmergib, Libya

*abdelrahman.alzarqani@elmergib.edu.ly

Received: 06.04.2025 Publishing: 17.06.2025

Abstract:

This study seeks to shed light on the role of applied philosophy in reforming the old philosophical lesson, with a focus on its manifestations throughout the history of philosophical thought, and pointing to some models of application in a number of scientific fields, such as technical, medical, economic, political, and other sciences. The analytical method, based on criticism and evaluation, was used. In order to explore the extent to which applied philosophy has reshaped traditional philosophical concepts, making them more relevant to contemporary reality, the researcher concluded that application could not have achieved its precise, scientific, practical level without the presence of critical thinking, which excludes any application in our reality without subjecting it to a rigorous methodology of criticism and evaluation, rendering it more accurate and efficient. The study also demonstrated that applied philosophy contributes to enhancing creativity and solving problems inherent in scientific development, making it an essential tool in advancing scientific research and education. Therefore, activating applied philosophy contributes to achieving cognitive integration between philosophy and various sciences, enhancing its effectiveness and relevance in practical life.

Keywords: Application, critical thinking, application models, scientific fields, rigorous methodology.

1. سبب اختيار الدراسة:

اخترت هذا الموضوع بناء على ملاحظتي خلال فترة تدريسي لعزوف الطلاب عن الالتحاق بقسم الفلسفة، بالإضافة إلى شعور بعض أساتذتها وطلابها بالملل، والذي يرجع في الغالب إلى الفهم الخاطئ لأساليب التدريس والبحث في هذا المجال.

2. هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور التطبيق في الفلسفة؛ لإصلاح وإعادة تموضع الدرس الفلسفي، حتى يتم من خلال ذلك معالجة الواقع في مختلف صوره.

إظهار ملامح التطبيق في تاريخ الفلسفة، لتأكيد أهمية العمل في منهجها، وأن نسقها لا ينفصل عن العمل.

الإشارة إلى بعض نماذج التطبيق في مجالات العلوم، مع إبراز دور الفلسفة في إصلاح هذا المجال.

3. مشكلة الدراسة:

هناك من يرفض أن يكون للفلسفة مجال تطبيقي وذلك لاعتقادهم بأن الفلسفة تعد ذات طابع نظري تأملي، والذي وسمت به في شكلها العام، من هنا كان أصحاب هذا الرأي يؤكدون بأن الفكر الفلسفي لا يمكن أن يخرج من دائرة التنظير المجرد؛ والتي يمكن أن تفتح آفاق لمجالات أخرى في معالجة قضايا حياتية ملموسة، لأن التطبيق في اعتقادهم لا يدخل ضمن مهام الفلسفة.

وفق ما تم طرحه فإنه قد يتبادر إلى البعض سؤال مفصلي وهو هل يمكننا أن نجد التطبيق في الفلسفة؟ أو بمعنى أدق هل يمكن أن نقول بوجود فلسفة تطبيقية؟

4. منهجية الدراسة:

أما فيما يتعلق بمنهجية الدراسة، إن الباحث سيستخدم المنهج التحليلي، بأداتيه النقد والتقويم.

5. مقدمة:

لم تكن الفلسفة يوما ترفًا فكريًّا، أو مجرد عمل هامشي، ففي بواطن كل فكرة أو نظرية فلسفية قدمها الفلاسفة في مختلف العصور يمكن أن نلامس بداخلها توظيفًا عمليًّا يمكن إظهاره كي يخدم واقعها الذي بزغت فيه تلك الفكرة، أو النظرية الفلسفية، بل ويمكن توظيفها في معالجات تخدم واقع تطبيقي آخر؛ إذا ما تحققت شروط تطبيقها.

لتقديم قيمة حقيقية لتدريس الفلسفة، والحفاظ على جاذبيتها، وبريقها بين مختلف العلوم والتخصصات، يجب أن تسند الفلسفة العملية إلى مجموعة من المبادئ الموضوعية القابلة للتطبيق خارج نطاقها التقليدي، فالفلسفة بأسلوبها الخاص في البحث، وتحليل المشكلات، تتيح لنا معالجة القضايا المعاصرة التي تؤثر في الحياة اليومية للبشر، ومن خلال هذه المنهجية الدقيقة والمنضبطة، ينبثق فرع جديد يعرف بالفلسفة التطبيقية، الذي يسهم في توظيف الفكر

الفلسفي لحل مشكلات واقعية، مما يعزز دورها في الحياة العملية، ويجدب المزيد من المهتمين بها.

لقد حان للأم العجوز (الفلسفة) أن تستعيد مكانتها بين العلوم، وتفرض وجودها من خلال إعادة إصلاح الدرس الفلسفي، والذي سيتحقق من خلاله نجاحًا في مختلف المجالات العلمية. إنه لا مفر للعلماء في عصرنا الحالي، وعلى إثر التطورات العلمية المتلاحقة في شتى المجالات العلمية؛ أن يستعينوا بالمنهج الفلسفي في حل المشكلات التي صاحبت الطفرة العلمية في عصرنا الراهن، والتي لن يستطيع العلماء فك رموزها؛ إلاّ بمشورة السيدة العجوز، التي أنقذت العلم في أزمتين سابقتين، (أزمة الفيزياء، وأزمة العلم في المجتمع).

6. مفهوم التطبيق عند منظري الفلسفة التطبيقية:

حاول الفلاسفة وبعض البحاث المهتمين بالتنظير في مجال الفلسفة التطبيقية وضع بعض التعريفات لمعنى التطبيق في الفلسفة لعل أبرزها:

– ما قاله (تشارلز لي ستيفنسون Charles L. Stevenson 1908–1979) أن الفلسفة التطبيقية نهج يهدف إلى استخدام المفاهيم الفلسفية، والمبادئ النظرية، لتحليل وفهم القضايا العملية، التي تواجه الأفراد والمجتمعات.

– عرف (ديفيد راسموسن David M. Rasmussen 1937) الفلسفة التطبيقية: بأنها محاولة للاستفادة من الفلسفة بشكل عملي وملموس، بحيث تعكس الأفكار الفلسفية على الواقع لتحليل قضايا الحياة اليومية، والتحديات العملية.

– وهناك من يعتبرها تلك الدراسات التي تتجاوز النظرة المطلقة لمستقبل البشرية، حيث تبحث في ممكنات المستقبل، في ميادين السياسة، والاقتصاد، والبيئة، وعلوم الفيزياء، والفن...الخ وموقع كل ما يتم اكتشافه من هذه المجالات في حياتنا المعاصرة(النشار، 2014).

– كما ورد تعريف آخر ذكره النشار، أشار فيه بأنها تلك المجال الذي تكون دراساته ذات طابع قيمي؛ فهي تهتم بدراسة مستقبل الإنسان، ونوعية حياته، وتحسين الطريقة التي يعيش بها(النشار، 2014). وفق هذه التعريفات فإنه لن يكون للفلسفة قيمة باعتبارها مصدر التنظير؛ إلاّ من خلال توظيف ما تم الوصول إليه في خدمة الواقع، عندها فقط يكون للفلسفة معنًا حقيقي، نتيجة للانسجام والتوافق بين الفكرة وتطبيقها العملي. ولكن كيف يتم هذا الانسجام؟

7. الانسجام بين النظرية والتطبيق:

مند فترة طويلة تحدث التربويون عن ضرورة الربط بين النظرية والتطبيق(عبدالمنعم، 1999، 213)، وفق ذلك ينبغي أن ينظر إلى الفلسفة التطبيقية بأنها الانسجام والتداخل بين النظرية والتطبيق، أو النظر والعمل، فالعلاقة بين الفلسفة في إطارها التنظيري، وبين التطبيق العملي؛ هي علاقة منسجمة لا تنفصم عراها، والفلسفة لصيقة بالقضايا العملية في المجتمع، وهموم العصر الذي أفرزها... وتاريخ الفلسفة حافل بالنماذج التي تؤكد ذلك(إبراهيم، 1967)، وهذا بالضبط ما نلاحظه في استفادة الفلاسفة في مختلف المراحل التاريخية من تطبيقات العلماء في تطوير نظرياتهم، عبر استلهام المفاهيم لتأسيس رؤى فلسفية جديدة، وتحليل القضايا بطريقة أكثر منهجية، وكمثال على ذلك فإن نظرية أينشتاين في النسبية أثرت على فيلسوف مثل هايدغر. حيث ساعدته في تطوير رؤى فلسفية جديدة حول الزمان(الأخوص، 2021، 51-52) وكذلك عن الواقع(الأخوص، 2021). ونسبية الأخلاق، فهذه النسبية التي ألمح إليها هيدغر في كتابه الكينونة والزمان، نلاحظها من إشارته أن فهم الإنسان لذاته، وللعالم من حوله؛ يتأثر بوضعه التاريخي، والثقافي(هيدغر، 2012). إن هيدغر لم يوظف بشكل مباشر مفهوم النسبية في أعماله عن الأخلاق، والقيم، بل إنه اهتم بتحليل الوجود الإنساني-والذي أطلق عليه (الدازاين)- وعلاقته مع الآخر، وفي هذا إشارة واضحة لهيدغر في توظيف مفهوم النسبية في المعايير الأخلاقية.

كما فتحت التطورات الحديثة في مجال علوم الحاسب الآلي، والذكاء الاصطناعي المجال للفلاسفة، والمفكرين من طرح أسئلة جديدة حول ما قد تحدثه هذه التقنية من مشكلات-والذي هو بطبيعة الحال عمل الفلسفة-فطرأت قضايا جديدة تتعلق بالوعي، والأخلاق، ومستقبل البشرية. وقدم الدكتور نجيب الحصادي في هذا المضمار طرحا فكريًا يحمل أفقًا رحبة في مجال إصلاح تلك المشكلات التي تطرأ على هذا المجال العلمي (الحصادي، 2024). حيث حذر الحصادي إلى ما قد يحدثه الإفراط في توظيف الذكاء الصناعي من تراجع معرفي للعقول البشرية، وذلك نتيجة الاتكاء على ما تقدمه البرمجيات من إنجاز لحل بعض المسائل، والمعادلات بشكل متقن، وسريع دون الركون إلى مهارات العقل التقليدية، والتي تحفز مهارات الابتكار.

كانت الاستفادة بالمقابل للعلماء في تحديث تطبيقاتهم؛ من خلال الاستئناس بنظريات الفلاسفة. فكما فتحت التطبيقات العملية للفلاسفة منصات عملية لفحص أفكارهم وتطويرها؛ بعد أن تصبح واقع عملي ملموس، كذلك فتحت النظريات للعلماء مجالات جديدة للتساؤل حول مفاهيم أساسية للعلم لإصلاحها، وتطويرها كالقيم، والمعرفة، والوجود، والعقل. ذلك ما ينطبق على تطبيقات نظرية الكوانتم، حيث أصلحت الفهم السابق القائل بوجود نظرية تفسر ظاهرة ما؛ وسقوط النظرية السابقة لتفسير تلك الظاهرة. فالبحث الفيزيائي وفق هذه النظرية لم يتوقف نتيجة لوجود تفسيرين للوكوانتم (تفسير موجي، وجسمي)(عبدالله، 2011، 204)، ولم يعد ينظر إلى ذلك وفق ما كان يراه المفهوم القديم بأنه تناقض، بل وفق مفهوم تطبيق التفسير الموجي لنظرية الكوانتم تارة، والتفسير الجسيمي تارة أخرى، أي وجود التفسيرين معًا. إن مثل هذه القضايا المطروحة هي مشكلات في صميم فلسفة العلوم، وتندرج تحديدًا تحت فرع فلسفة الفيزياء التطبيقية(النشار، 2014).

لقد فتحت هذه التطبيقات الفيزيائية الجديدة التي تندرج تحت فلسفة الفيزياء التطبيقية، آفاقًا رحبة في إصلاح وتطوير مفاهيم خاصة بتطبيقات علمية أخرى ليس في مجال الفيزياء فحسب؛ بل على مستوى المنطق وتطبيقاته، والرياضيات وتطبيقاتها، حيث سقط مبدأ التناقض، ففي هذه النظرية بتفسيريها تم الوصول إلى أن التطبيقات التي تستخدمه النظرية في التفسيرين. والذي أثبت أن الرياضة مجرد صيغ عامة لا تكشف لنا الحقائق، بل تعرضها وتنظمها، وليست هي العلم اليقيني الذي يخرج لنا الحقائق التي لا نصل إليها من خلال التجربة، إنما يقينها في العلاقة التي تحكم اتساقها، وآلياتها، أما مادتها فهي غير رياضية(عبدالله، 2011).

لقد فتحت النظريات الفلسفية للعلماء أيضًا طرح إصلاحات جديدة فيما يتعلق بتعاملهم مع بعض المفاهيم كالمعرفة مثلاً، فالصراع الفكري الذي دار بين الفلاسفة العقليون والتجريبيون حول طريقة الوصول للمعرفة، نتج عنه أن اعتبر البرغماتيون الخوض في طريقة تشكل المعرفة لا يجدي نفعًا. وأنه ينبغي الانشغال بما يحققه الإنسان من قيم إنسانية مفيدة وعملية، والتي تساعد في تحسين حياة الإنسان وتحقيق سعادته(الشويعر والعصيمي، 2016، 14-19)، فأصبح التعامل مع مختلف المفاهيم عند علماء البرغماتية فيما تحققه تلك المفاهيم من فائدة عمليّة.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا الصراع الفكري الذي دار بين المذهبين العقلي والتجريبي، قد جعل البرغماتية تنحاز في تطوير تطبيقاتها العملية إلى توظيف التجربة في الوصول إلى الحقيقة، "وذلك من منطلق أن الحقيقة هي وليدة التفاعل الإنساني مع بيئته"(الشويعر والعصيمي، 2016).

وفي نفس السياق نجد الفيلسوف (فريدريش نيتشه) قد دعا إلى ضرورة أن تكون الأفكار الفلسفية المطروحة بعيدة عن سياقها التقليدي، وقائمة على إرادة القوة والإبداع، وأن تكون ذات قيمة عملية، وتأثير مباشر على واقع البشرية. ذلك الواقع الذي اعتبر سببه عند نيتشه؛ أفكار الفلاسفة التقليديين المروجين للأخلاق الضعيفة والقيم الزائفة(نيتشه، 2007). رغم ما قدمه (فريدريش نيتشه) من رؤية جديدة حول الفلسفة التطبيقية؛ إلاّ أن موقفه فيما يتعلق بالأخلاق قد يؤدي إلى فوضى القيم، وتبرير العنف واللامسؤولية، خاصة وأنه قد يُفهم من مفهومه لـ(إرادة القوة) الانحياز لطبقة النخبة الأقوياء فكريًّا وجسديًّا، ورفض المساواة.

8. ملامح التطبيق في بعض الفلسفات القديمة:

كثيرًا ما تسيطر على الدرس الفلسفي بعض المفاهيم الخاطئة، والتي تحتاج إلى إصلاح أو تقويم، لعل من أبرزها الاعتقاد السائد بأن هناك فلسفات تنطلق من مبدأ التفكير النظري أو المثالي، دون أن نلمح فيها ما يلامس الواقع العملي التطبيقي، حيث سيطر هذا الرأي على جل الفلسفات القديمة وخاصة اليونانية.

ومع ذلك، بنظرة ثاقبة إلى مختلف المراحل التاريخية، يمكن استيعاب الفلسفات القديمة بعمق، وعند مختلف الاتجاهات والمذاهب، حيث سنجد أن التطبيق كان ملازما لكل فلسفة من تلك الفلسفات، حتى تلك التي كانت توصف بأنها ليست مهتمة بالتطبيق العملي.

فها هو سقراط قد استعان بالتطبيق العملي عندما استعار مهنة أمه فن (القبالة، أو التوليد)؛ لدعم منهجه الخاص بتوليد الأفكار من عقول الذين يحاورهم، كما كان يقول: سقراط(المجيدل، 2015، 75–74) حيث نجد أنه استعار من مهنة أمه تطبيقًا عمليًّا، وظفه في توليد الأفكار من عقول محاوريه.

تجسد التطبيق في فلسفة سقراط أيضًا في بحثه عن الحقيقة التي ترتبط بالتطبيق المباشر في الحياة العملية... هذا ما نلاحظه عندما كان يُدَّرس تلاميذه وجاءت زوجته (زنتيبي) وسكبت

على رأسه الماء، ولم ينفعل بل تعامل مع الموقف، قاصدًا به أسلوبًا تربويًّا أمام تلاميذه. فمن غير المعقول أن يكون داعيًّا للفضيلة ولا يطبقها، وهو الذي كان يؤكد أن الأنسان الذي يضبط نفسه هو الذي يضبط أعماله(المجيدل، 2015).

كذلك افلاطون الذي وظف التطبيق الواقعي على (نظرية المثل) كي يقربها إلى الفهم، ففي قصة اسطورة الكهف(مطر، 1998)؛ نراه يوصف أن المعرفة الحقيقية لا تكون إلاّ في المثل التي جسدها في تلك الحقائق؛ التي تقبع خارج الكهف، حيث لم يجد بدًا لمثله المفارقة التي اعتبرها الحقيقة المطلقة؛ إلاّ أن ينقلها إلى تطبيق عملي بقصة الكهف التي هي واقع عملي.

ومن جانب آخر فإن نظرية المثل التي أسس لها أفلاطون لم تكن مثالية، أو نظرية بشكل مطلق كما يظنها البعض، بل إنها تحمل بداخلها العديد من العناصر يمكن النظر إليها، وتفسيرها على أنها تطبيقية، وصالحة للواقع العملي، فأفلاطون بنظريته لم يكن هدفه إلاّ إصلاح مجتمعه. وإصلاح النظام الديمقراطي، ويضع على رأس الحكم فيلسوفًا، أو أن يكون الحاكم فيلسوفا، لأنه لا يسعى إلاّ إلى المصلحة العامة. هذا الحاكم هو ما أومأ إليه في أسطورة الكهف، في ذلك الرجل الذي كسر القيود وخرج من الكهف ليؤكد لسجناء الكهف أن الحقيقة خارج الكهف وليس بداخله(مطر، 1998). وفصل أفلاطون أكثر حول قضايا تطبيقية في مبادئ الحكم، وتقسيم العمل بين أفراد المجتمع، وكيفية تحقق العدالة بشكل عملي في كتابه الجمهورية، مما جعل كتاباته تكسوها الصبغة التطبيقية العملية.

كما يمكننا أن نلامس التطبيق في تعريف الرواقيون للفلسفة، والمتمثل في قولهم بأن الفلسفة هي (محبة الحكمة ومزاولتها). لأن الفلسفة حسب اعتقادهم لا ترتبط بالتنظير فقط، إنما هي ما يتم ممارسته في حياتنا اليومية من تهديب للنفس، وتوجيه لسلوك الإنسان إلى الفضائل(أمين، 1945). إنه تعريف يظهر مدى ارتباط النظر بالعمل، والتأكيد على أهمية التطبيق.

9. ملامح التطبيق عند بعض فلاسفة المسلمين:

لم يكن التطبيق عند فلاسفة المسلمين يختلف في شكله العام عما جاء في الفلسفة اليونانية، غير أنه كان يساير التغيير الذي فرضته البيئة العلمية، والدينية آن داك،

فقد كان التطبيق حاضرًا عند الغزالي، وابن رشد، وابن سينا والفارابي، وغيرهم من الفلاسفة، وذلك من خلال تقسيمهم وظائف العقل إلى نظري وعملي.

العقل النظري: يكون هذا النوع من العقل مهتما بالفهم والمعرفة والتأمل في الحقائق والمبادئ الأساسية للكون، ويهدف العقل النظري إلى الوصول للمعرفة المجردة.

فعلى سبيل المثال لا الحصر وظف الغزالي (العقل النظري) مقدمًا أدلته العقلية والمنطقية. في شرح أصول الدين، وأحكام الشريعة الإسلامية، كما وظفه في الرد على المخالفين في مسألة إثبات وجود الله، وبعض المسائل المتعلقة بالقدر(القطان، 2022)، فبالعقل يمكننا تحليل، واستنباط، واستدلال، ما نسعى إلى إثباته حسب رأي الغزالي.

كذلك وظف ابن رشد (العقل النظري) في فهم النصوص الشرعية، فمن خلال هذه الوظيفة العقلية أكد ابن رشد أن الفلسفة والشريعة متكاملتان، فالفلسفة تعتمد على العقل لفهم حقيقة مقاصد النص الديني. وهذا بالضبط ما أمر به الدين في عدة آيات قرآنية أستشهد بها ابن رشد، كقوله تعالى: أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء" وقوله تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار(ابن رشد، دت).

العقل العملي: يرتبط بتنظيم الحياة اليومية، والأفعال الإنسانية، ويهتم بكيفية التصرف، والعمل وفقًا للمبادئ الأخلاقية والدينية، ويركز العقل العملي على التطبيق والسلوك، ويشمل العقل العملي مجالات مثل الأخلاق، والسياسة، والاقتصاد، وكل ما يتعلق بتوجيه السلوك البشري نحو تحقيق حياة عادلة.

أما فيما يتعلق بفهم الغزالي لتوظيف العقل العملي فإنه يتجسد في مشروعه في التطبيق الديني، القائم على إصلاح بعض الآراء الفقهية، والصوفية، والكلامية، ومحاولة التوفيق بين ما يتناوله كل منها في قسم العبادات، والصفات الخلقية. حيث نجد أن الغزالي "أجرى في كتابه إحياء علوم الدين حوارا إسلاميًّا-إسلاميًّا، خاطب علماء الكلام، والفقهاء، والصوفية، خطاب المصلح، والثائر معًا... كان مصلحًا بين العلوم الإسلامية، وفي الوقت نفسه ثار على الفقهاء لحبسهم علوم الدين بالأحكام، كما ثار على توليداتهم، وثار على الصوفية في غرورهم وشطحاتهم، وثار على المتكلمين في حجرهم الرحمة الواسعة"(الحكيم، 2005، 42).

وظف ابن رشد (العقل العملي) أيما توظيف، وخير ما يعرض لنا هذا التوظيف المفكر الفرنسي (جان بتيست برونيjaen-Baptiste Brenet–) في كتابه "أنا أتخيل" حيث أشار إلى أن كتاب فصل المقال لابن رشد. أعمق من أن يكون غايته البحث في العقل كما يظنه

الدارسون، بل يعتقد بروني أن ابن رشد كان مهتما بمفهوم الخيال الذي يمثل التوظيف العملي، فالخيال هو القدرة على الابتكار والاكتشاف، والابتعاد عن التقليد، وفتح آفاق جديدة في تحديد المعاني(بروني، 2020). غير أن القدرة على الابتكار الذي هو عمق التطبيق العملي، والمرسخ له؛ لن يتأتى إلاّ من خلال ما كان يتطلع إليه ابن رشد. في إعادة التوظيف لإقامة حوار بين ما هو منقول من تراثنا الديني وبين الفكر العالمي المعاصر الذي نتطلع إليه(ابن رشد معاصرنا، 2019) في إصلاح واقع مجتمعنا العملي في كافة النواحي.

10. بعض النماذج لمجالات الفلسفة التطبيقية:

في مجال القيم أو ما يمكن أن نطلق عليه (فلسفة القيم التطبيقية)

تتجلى الفلسفة التطبيقية في القيم من خلال تحليل الأخلاقيات في مجالات متعددة مثل.

1.11 الأخلاقيات الطبية والحيوية (البيواتيقا):

تعد من أبرز مجالات الفلسفة التطبيقية حيث تمثل نقطة التقاء بين عدة تخصصات علمية تقنية وإنسانية، فمن الناحية التقنية ترتبط بمجالات مثل الطب، والهندسة الوراثية، والبيولوجيا، بينما تشمل من الناحية الإنسانية علوم الاجتماع، والأخلاق، والسياسة، وعلم النفس، وعلم اللغة، والدين والفلسفة.

وقد أصبحت البيواتيقا مجالاً متعدد التخصصات يشمل الأبحاث، والممارسات والخطابيات؛ التي تسعى الى معالجة القضايا، والأسئلة الأخلاقية؛ الناجمة عن التقدم العلمي، والتكنولوجي في مجالات الطب، والتقنيات الحيوية، والتي لا شك أنها قضايا متعددة وشائكة؛ يصعب حصرها في هذا البحث، الذي سنتعرض لبعض من هذه القضايا كنموذج نحاول من خلاله وضع صورة عامة حول تطبيقات الفلسفة في مجال الأخلاقيات الطبية والحيوية.

لهذا سيتم اختيار بعض القضايا المطروحة في هذا الجانب كنماذج قد تُحدث بعض المشكلات الإنسانية، والأخلاقية، نتيجة للتقدم التقني، لا سيما في مجال الطب، وعلم الوراثة.

– وكمثال على تلك القضايا: تطبيق القيم الانسانية عند اتخاذ قرارات تتعلق بالحياة كاستخدام التقنيات الطبية الحديثة في (أطفال الأنابيب– الإجهاض– تأجير الأرحام).

فلو أخذنا المشكلات الناجمة عن قضية أطفال الأنابيب سنجد أنها قضية شائكة قد يحدث فيها العديد من الاعتراضات الأخلاقية، والتي من بينها أنه لا يوجد ضمانات تؤكد أن الحيوان

المنوي من الشخص العقيم المراد الإخصاب له بتقنية الأنابيب (النشار وآخرون، 2018) إضافة إلى ذلك قد تحدث مشكلات متعددة ناجمة عن هذه التقنية الطبية المتمثلة في (أطفال الأنابيب). احتمالية وجود تشوهات في الجنين بعد عملية التخليق، أو عدم وجود ضمانات في استخدام الحيوان المنوي والبويضة للمستهدفين، حيث قد يتم استبدالهما(النشار وآخرون، 2018) لا شك أن هذه المشكلات المطروحة التي تتداخل فيها العديد من المجالات العلمية، والتي تحتاج إلى حضور الفلسفة بمنهجها النقدي؛ حتى يتم معالجتها بشكل مستفيض وسليم، لهذا السبب اعتبرت هذه المشكلات أو القضايا هي من الاهتمامات البحثية في فلسفة الأخلاق التطبيقية، والتي هي مجال يعود إلى الفلسفة.

أما فيما يتعلق بقضية الإجهاض فقد حدث الأشكال الأخلاقي نتيجة اختلاف وجهات النظر حول هذه القضية، فهناك من اعتبرها جريمة دينية، وجنائية وينبغي رفضها بالمطلق، وذلك لأنها تؤدي إلى إزهاق حياة، بينما نرى رأي مخالف يرى أن عملية الإزهاق للحياة لا تتحقق إلاّ بوجود إنسان واعي بذاته، بينما هناك رأي ثالث يرى أن قرار الإجهاض يعود للمرأة نفسها التي حدث معها الإجهاض، فهي وحدها من تقيّم آثار ما تشعر به من آثار جسمية ونفسية(بسرياني، 2021) رغم أن هذا الأمر قد يعترضه انتقاد؛ وهو أن رأي المرأة قد تؤثر فيه العاطفة، وبالتالي قد يكون القرار سلبيا عليها، لذلك فإن القرار قد لا يرتبط بالمرأة لوحدها، إنما يحتاج قرار المتخصص في المجال النفسي، والمجال الاجتماعي، والطبي، مما نضطر في هذا التشابك إلى نقد، وتفكيك كل ما يطرح من آراء لحل هذه المشكل، وهذا ما يجعل من الواجب حضور الفلسفة في مثل هذه المشكلات المطروحة.

2.11 الأخلاقيات البيئية: تتعلق بمدى التزام الأفراد والمجتمعات والشركات، بحماية البيئة والمساهمة في استدامة الموارد للأجيال القادمة.

إن المشكلات العلمية الناتجة عن هذه القضايا بدأت مؤشراتها في الظهور مع تلك المقولة التي أعطت فهمًا عند مطبقيها يتجه إلى المركزية المفرطة للإنسان، إنها مقولة ديكارت "أنا أفكر إذًا أنا موجود"(ديكارت، 1980) فهذه المقولة جعلت مطبقيها يعملون عقولهم في تحقيق غاياتهم دون أن يفكروا فيما قد يحدث عن ذلك من أضرار قد تلحق بما يدور من حولنا.

نتج عن ذلك ثورة علمية، حققت هذه الثورة طفره صناعية، وفي المقابل حدث الكثير من الضرر الذي نتج عن تلك الثورة، لعل أهمها التلوث البيئي الذي أضر بالحيوان، والنبات، وبالإنسان نفسه، حيث وجد الإنسان نفسه في سبيل تحقيق غاياته؛ يقوم بإحراق كوكب الأرض بشكل متزايد، دون أن يوجد ما يردع هذه المركزية التي يدعيها ذلك الإنسان المغرور.

لهذا فإن مجال (أخلاقيات البيئة) لم يأتي إلاّ ليعالج المشكلات الأيكولوجية الناتجة عن الطفرة الصناعية التي أحدثها الإنسان. من خلال خلق الوعي البيئي، الذي يعمل على فرض، وعكس الالتزام، والمسؤولية على إنسان الحاضر والمستقبل تجاه البيئة، من نباتات وحيوانات، وتتوجه أخلاقيات البيئة نحو خلق المجتمعات الإنسانية، والأساس منها هو ضمان العيش في توازن، وتناغم مع العالم الطبيعي، والمحيط البيئي(شيهب، 2023).

هنا قد يتبادر إلى أدهان البعض سؤالاً مفصليًا: وهو ما علاقة الفلسفة بهذا المجال؟

الإجابة ببساطة: إن حضور الفلسفة يتمثل في أنها محور للتفكير الناقد، والذي لا شك أننا سنحتاجه في كيفية تفاعل الإنسان مع البيئة، وكيفية تأثيره عليها من الناحية الأخلاقية.

وهكذا فإن وجود الفلسفة كان حاضرًا في البداية، متمثلاً في الارتكاز على أحد المقولات الفلسفية، والتي ربما حُملت مضامين، وتطبيقات تجاوزت مقاصد منظرها، فأحدث ذلك أزمات حادة، وكانت الفلسفة حاضرة في إخراجنا من هذه الأزمات وفق الاعتماد على التفكير الناقد.

وهكذا فإن مسألة التطبيق تتوقف على أولئك الذين يمتلكون قدرة على التفكير الناقد، حتى لا يقع ما يمكن أن نطلق عليه (مغالطة التطبيق).

3.11 الاخلاقيات التقنية: التعامل مع المسائل الأخلاقية الناجمة عن تطور التكنولوجيا، كاستخدام الذكاء الاصطناعي، والخصوصية الرقمية، وحماية البيانات الشخصية. وسنأخذ هنا كمثال قضية الخصوصية الرقمية، وما ينتج عنها من أشكلة تتطلب تدخل الفلسفة لإعادة بناء موقف نقدي وعلمي جديد حول هذه القضية.

إن تبرير الباحث لهذا الاختيار هو أن هذه القضية تعد أكثر القضايا اهتماما وإثارة في أخلاقيات التقنية، ذلك ما يؤكده. قيام الحكومة الأمريكية في منتصف الستينات بتصميم وإدخال قواعد بيانات معلوماتية عن المواطنين الأمريكيين العاديين، إلاّ أن هذا الإجراء قوبل بالرفض من قبل المواطنين، فاضطرت الحكومة الأمريكية بتشكيل لجنة لإعادة النظر في هذا الأمر،

وعلى إثر هذا صدرت قوانين الخصوصية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية السبعينيات(النشار وآخرون، 2018).

وقد حدد بعض العلماء مفهوم الخصوصية في (السيطرة على المعلومات الشخصية)، غير أن هناك بعض الفلاسفة رفضوا هذا المفهوم على اعتبار أنه غير محدد بشكل دقيق لحماية الخصوصية، واعتبروا أنه من الأفضل تحديد مفهوم الخصوصية في إطار هذا المفهوم، وهو (وصول مقيد لا تحكم)، وقد سايرت الفيلسوفة الأمريكية المعاصرة (نيسابوم) هذا التوجه الذي يعطي حرية محددة للخصوصية، بحيث لا تتجاوز خصوصية الأخرين. مؤكدة أن هناك شعور بالخصوصية حتى في الأماكن العامة(النشار وآخرون، 2018).

وفق هذه المنهجية الفلسفية القائمة على التفكير الناقد؛ فإنه قد أصبح بالإمكان إذابة الكثير من المشكلات التي تطرأ على هذا المجال (الأخلاق التقنية).

إن فلسفة أخلاقيات التقنية توفر من خلال الفلسفة منهجية تفكير نقدي تعطي إمكانية للحكم على الأفعال، والقرارات في مجال التقنية من منظور أخلاقي، فهي ليست مجرد تأمل نظري، إنما هي إرشادات عملية تحاول معالجة تحديات الواقع الناتجة عن هذا المجال في صورة أكثر التزام ومسؤولية.

إن مسائل الخصوصية في الانترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي تطرح قضية عدم الكشف عن الهوية، وما تحدثه من فائدة وقيمة أخلاقية. فعلى سبيل المثال إذا ما استخدم شخص مريض الأنترنت لاستشارة طبيب ما في مواضيع حساسة، فإن عدم الكشف عن الهوية يعطي له الحماية والطمأنينة (النشار وآخرون، 2018) غير أنه قد يؤدي عدم الكشف عن الهوية إلى تسهيل النشاطات غير الأخلاقية الضارة بالأفراد والمجتمع والدولة. كغسيل الأموال، وتجارة المخدرات، والإرهاب، أو النصب، ونهب الضعفاء(النشار وآخرون، 2018).

4.11 فلسفة السياسة التطبيقية:

في مجال النظريات السياسية، ونتيجة للانتكاسة الحضارية التي منية بها الحضارة الإسلامية في العصر الحديث، برزت نداءات إصلاحية في شكل مشاريع فكرية تبناها بعض المفكرين المسلمين، كـ طه عبدالرحمن (1944)، وحسن البنا (1906–1949)، ومحمد عبده (1849–

905). حيث أن أغلب هذه المشاريع الإصلاحية إما أنها تحاول أن تسترشد بالتجارب القديمة للحضارة الإسلامية، أو أنها تكون مفتونة بما أنتجته الحضارة الغربية فتحاول الالتزام به.

هنا تظهر الحاجة إلى رؤية نقدية تنطلق من منهجية هذا المجال العلمي فلسفة السياسة التطبيقية، فجاءت رؤية محمد عابد الجابري (1935–2010) فيما يتعلق بالإصلاح، حيث أطلق رؤيته حول الإصلاح القائمة على فكرة (التبيئة) و(الاستنبات). والتي نجده فيهما يأخذ بشروط إصلاح هذين المفهومين كما حددها، دون أن يهمل تجربة التراث الإسلامي القديم، ثم يحاول تفكيكهما لمعرفة ما يمكن أن يتماشى معنا من التجربتين الغربية، والإسلامية في الوقت الراهن، وهو ما أطلق عليه الجابري شروط نقل المفهوم، وهما معرفة زمن المفهوم المراد نقلة، والنظر فيما سيتم استنباته من المرجعية، فلا يتم الأخذ بكل ما تنتجه تلك المرجعيات، بل يتم إعادة تهيئته(الجابري، 2014).

نلاحظ أن التطبيق حول مفهوم (التبيئة) عند الجابري يكون بمحاولة التأكيد على أن المفاهيم ليست عابرة للزمن، والمكان دون عملية إصلاح، وهذا الإصلاح هو عين التطبيق في فلسفته، إنه يرى أن المفاهيم تنشأ في سياقات تاريخية، وثقافية محددة، لهذا فإننا ملزمون بإعادة نقد، وتأويل المفاهيم قبل نقلها من حضارتنا القديمة، وتطبيقها في بئتنا العربية الإسلامية المعاصرة.

أما التطبيق في مفهوم (الاستنبات) عند الجابري فيتمثل في عدم الأخذ بأي مفهوم غربي كما جاء من حضارته دون فرزه، وإعادة دمجه مع ما يقابله من مفاهيم في حضارتنا الإسلامية.

5.11 فلسفة الاقتصاد التطبيقية:

من الأخطاء التي يقع فيها بعض البحاث الاقتصاديين هو أنهم يقدمون النظرية الاقتصادية على أساس أنها صحيحة صحة نهائية، حيث نجدهم يسترشدون بنظريات اقتصادية معينة دون أن يأخذوا في اعتبارهم أنها قد ظهرت في بيئة خاصة قد لا يمكننا تطبيقها في مجتمع يختلف عن تلك البيئة التي نشأت فيها تلك النظرية.

لا شك أن مجال فلسفة الاقتصاد التطبيقية جاء لمعالجة هذه الإشكاليات المنهجية، والتي كان سببها أساليب تدريسية جاءت مما تم تلقيه من تاريخ الفكر الاقتصادي، والذي لا يخضع الفكرة الاقتصادية لإعادة القراءة وللنقد الفلسفي.

لو أخذنا على سبيل المثال (فرضية الرشد الاقتصادي)، التي تفسر سلوك المستهلك، وهي الفكرة التي يقوم عليها علم الاقتصاد بأكمله، ومفهوم الرشد الاقتصادي عند الاقتصاديين الوضعيين تعني. "نجاح الشخص بتحقيق الحصول على أعلى مستوى من الحيازة المادية؛ لبلوغ أقصى قدر من الإشباع لحاجاته، وشهواته، في بعد زمني محدد، وهي الحياة الدنيا"(التركماني، 1990).

هنا يتبادر إلينا سؤال مهم حول هذا المفهوم، هل ينطبق هذا المفهوم على المسلم، بمعنى أدق هل يقتصر إنفاق أو سلوك المستهلك المسلم على تحقيق رغباته الشخصية فقط؟

بطبيعة الحال لا، لأن الإنسان المسلم يقوم بإعطاء مبالغ مالية تتمثل في صدقات وزكاة لا يبتغي منها منفعة مادية.

انطلاقًا من ذلك: هل تستطيع نظرية تفسير سلوك المستهلك أن تفسر سلوك المستهلك المسلم؟ الإجابة لا تستطيع، بسبب اختلاف البيئة، وبالتالي نصل إلى نتيجة أننا لا يمكن تعميم هذه النظرية، فهي تحتاج إلى إعادة قراءة، ونقد من خلال مجال فلسفة الاقتصاد التطبيقية.

ينطبق ذلك التفسير على أي نظرية اقتصادية نشأت في كنف بيئة غربية تختلف عن الحضارة المراد توظيفها فيها.

وللإيضاح أكثر فإن هذا النوع من المواضيع أو الإشكاليات التطبيقية للنظريات الاقتصادية الغربية؛ نشأت في بيئات تختلف عن السياق الذي ترعرعت فيه هذه النظريات، والتي غالبًا ما تكون مصممة لخصائص اقتصادات السوق الغربية، إضافة إلى انتمائها الى البيئة القانونية والدينية والثقافية، والتي حتمًا لن تكون متشابهة للبيئات الأخرى المراد تطبيقها عليها (كالبيئة الإسلامية).

ومن الطبيعي أنه عند محاولة توظيف النظريات الغربية في سياقات أخرى، قد يطرأ عن ذلك مشكلات تطبيقية، كعدم تطابقها مع البناء الاقتصادي المحلي، أو يحدث الخلل نتيجة لتجاهل العوامل الثقافية والاجتماعية للبيئة المراد التطبيق عليها، مما يؤثر هذا على السلوك الاقتصادي.

هذا هو بالضبط الدور الذي تقوم به فلسفة الاقتصاد التطبيقية، حيث تركز على مدى ملاءمة النظريات الاقتصادية لمختلف السياقات، وطرح تعديلات لتلك النظريات، أو تقديم بدائل من شأنها أن تضع في الاعتبار الفروقات الثقافية، والمؤسسية.

11. الخاتمة:

تبين من خلال هذه الدراسة أن الفلسفة لن تكون لها أهمية فعلية برؤيتها القديمة، بل ولن يستساغ ما يقوله الفيلسوف؛ إلاّ بعد أن ينزل من برجه العاجي كما يقال، ويصبح اهتمامه مرتبطًا بالقضايا التي تمس الواقع العملي للإنسان، ذلك الواقع الذي يلامس حياة الإنسان، وما يحيط به في كافة مجالات الحياة الأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها.

اتضح أن تدخل الفلسفة في هذه المجالات كان في إطار المعالجة للمشكلات التي تطرأ عن التطبيقات العلمية، حيث أن البحاث لن يكونوا مهمومين إلاّ بما يحققونه من تطور في مجال تخصصهم، دون أن يأخذوا في اعتبارهم المشكلات الأخلاقية، أو المنطقية، أو غيرها من العوائق الناتجة عن افتقارهم للتفكير الناقد الذي هو محور المنهج الفلسفي الذي تقوم عليه الفلسفة التطبيقية.

وعليه فإن الفلسفة التطبيقية ليست مجرد امتداد نظري، إنما هي أداة فاعلة لتعزيز الدقة، والكفاءة؛ في مختلف مجالات البحث العلمي، والتطبيق العملي.

المصادر والمراجع

ابن رشد معاصرنا. (2019، 21 فبراير). جريدة الاتحاد.

ابن رشد. (د.ت). *فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال وانفصال*(محمد عمارة، مُحقق)(ط3). دار المعارف.

أمين، عثمان. (1945). *الفلسفة الرواقية*. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

مطر، أميرة حلمي. (1998). *الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها*. دار قبا للطباعة والنشر.

بسرياني، عائشة. (2021). *البيواتيقا مشكلاتها وأبعادها*[رسالة ماجستير]. كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدر مرباح – ورقلة، الجزائر.

بروني، جان باتيست. (2020). *أنا أتخيل.. ابن رشد وفضاء المقدرة*(عزالدين الخطابي، مُترجم). دار توبقال للنشر.

التركماني، عدنان خالد. (1990). *المذهب الاقتصادي الإسلامي*. مكتبة السوادي.

ديكارت، رينيه. (1980). *التأملات في الفلسفة الأولى*(عثمان أمين، مُترجم). مكتبة الأنجلو المصرية.

الشويعر، رانيا عبداللطيف، والعصيمي، سهام سليمان. (2016). *الفلسفة البراجماتية*[بحث مقدّم لمادة النظريات في أصول التربية]. كليّة العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية.

إبراهيم، زكريا. (1967). *مشكلة الفلسفة*(ط3). مكتبة مصر.

الحكيم، سعاد. (2005). *إحياء علوم الدين في القرن الواحد والعشرين*(ط2). دار الشروق.

شيهب، خيرة. (2023). *فلسفة البيئة وأخلاقياتها بين التنظير والواقع*[رسالة ماجستير]. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر.

القطان، عبدالعزيز بدر. (2022، 1 ديسمبر). *الإبحار في عقل حجة الإسلام الإمام الغزالي*. المجتمع.

المجيدل، عبدالله شمت. (2015). *تطور الفكر الفلسفي من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة*. دار الإعصار العالمي للنشر والتوزيع.

عبدالله، عيسى. (2011). *في نظرية المعرفة*. أكاديمية الفكر الجماهيري.

نيتشه، فريدريش. (2007). *هكذا تكلم زرادشت*(علي مصباح، مُترجم). منشورات الجمل.

هيدغر، مارتن. (2012). *الكينونة والزمان*(فتحي المسكيني، مُترجم). دار الكتاب الجديد المتحدة.

الجابري، محمد عابد. (2014). *في نقد الحاجة إلى الإصلاح*. مركز دراسات الوحدة العربية.

الأخوص، مريم. (2021). *الفلسفة الوجودية مارتن هيدجر أنموذجًا*[رسالة ماجستير]. كليّة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة قاصدي مرباح – وقلة، الجزائر.

النشار، مصطفى. (2014). *الأرجانون العربي للمستقبل*. الدار المصرية اللبنانية.

النشار، مصطفى. (2018). *الفلسفة التطبيقة وتطوير الدرس الفلسفي العربي*. روابط للنشر والتوزيع.

عبدالمنعم، منصور أحمد. (1999). *تدريس الجغرافيا وبداية* عصر جديد. مكتبة الأنجلو المصرية.

الحصادي، نجيب. (2024، فبراير 10). *من محاضرة قسطاس الذكاص (الذكاء الاصطناعي)*.. سيناريوهات واجسة. استرجع في: 2025/03/11، من:
https://www.facebook.com/watch/live/?ref=watch_permalink&v=1579252339488669